

نذير الماجد - ماراتوه القطيف وصدقي المتشائم

بواسطة هيئة التحرير

أخذ أحدهم يتساءل عن اللحظة التاريخية الحبلى بالتغيير، متى ستأتي؟ ويجرد الحيز العام من المعايير والرؤى الذاتية ويحصل الرجل السعودي والمرأة السعودية على حقوق متكافئة ومتساوية؟ متى ستقود المرأة سيارتها الخاصة حتى لا يتحول الرجل إلى سائق أكثر منه زوج أو قريب؟

نذير الماجد

ماراتوه القطيف وصدقي المتشائم

في مكان ليس يبعد عن المكان الذي شهد اهتزاز العفة حيث الماراتوه العائلي "المختلط" الذي أقيم تحت شعارات موهلة في الدنوية جرى حديث لا يتعد كثيرا عما قد تؤول إليه المبادرات الأثنوية من تقييمات تجيلية أو تبخيسية.

هؤلاء الأصدقاء المنفيين إلى الظل والذئب عادة ما يتجاوزون أطراف الحديث في أماكن أكثر دنوية كمقهى أو على ضفاف البحر أو أي مكان يخلو من ضجيج الشعارات الأيديولوجية هم الأكثر دراية ووعيا بتحديات المغامرة.

ولأن عزلة المكان تفرض شعورا ثقيلًا بالتوحد ورغبة موازية في أي يوتوبيا أخذ أحدهم يتساءل عن اللحظة التاريخية الحبلى بالتغيير، متى ستأتي؟ ويجرد الحيز العام من المعايير والرؤى الذاتية ويحصل الرجل السعودي والمرأة السعودية على حقوق متكافئة ومتساوية؟ متى ستقود المرأة سيارتها الخاصة حتى لا يتحول الرجل إلى سائق أكثر منه زوج أو قريب؟

الأقل تشاؤما أجاب ساخرا: ليس أقل من منة عام! تشاؤم يقتل بوحشية الأمل في الاعتاق والحرية لكنه مع ذلك

لم يولد مع فراغ ولم يحصل نتيجة طبيعة متشائمة. □ ثمة انسداد معمم وتواطؤ كامل بين أطراف متناشزة □ ظاهريا لكنها تتقاطح في عامل مشترك يجمع بينها هو تصفية □ كل رغبات التحرر.

نعرف جميعا أن المجتمعات تخضع للحتمية التاريخية، □ لكنه للفرد اشتراطا مختلفا كليا مع اشتراطات □ المجموع، كما أن العمر الزمني للحياة والتطور والنمو □ والانعطافات والتحويلات التي قد تحدث للفرد تختلف □ عنها في حياة المجتمعات والثقافات، تفاوت جحيمي يسحق الفرد □ وهو يتطلع نحو الأفاق البعيدة والمفتوحة، ويسحق □ فيه كل أمل وتفاؤل.

المجتمع واشتراطاته أقوى منك رغم تفردك □ واستقلاليك، هكذا يقول صديقنا في مقهى المغمشي، □ ولذلك فأنا متشائم ساخر أتهاون بكل شيء حتى التنوير بوصفه □ مسؤولية اجتماعية ملقاة على كاهل المثقف، فالمثقف □ لدي هو كائن فردي بامتياز وليذهب هذا المجتمع المؤدلج □ إلى الجحيم. يقول ذلك وهو يستعيد في ذاكرته □ المثخنة عشرات الشواهد التي تدل على انعدام ارادة التغيير □ في المجتمع كما في السلطة.

هناك عقل ديني مغميم يمتلك السلطة الرمزية □ والمادية أيضا ولديه أدوات ووسائل محكمة للتصفية □ المعنوية، فلا تنس أن مفاتيح الجنة بجوزته، وأنه الحارس □ الأميب على الشرف والعفاف وسائر القيم الأخلاقية، □ فتوى بسيطة يجرها كافية لتحديد مصيرك بشكل لا رجعة □ فيه.

ماراثون القטיפ الذي حدث مؤخرا هو شاهد مشحون □ بالدلالات والأحكام التبخيسية التي أطلقها هذا □ العقل. أنه يحتشد نساء ورجال في محفل عام ذو طابع مجرد مع كل □ حياية دينية فإن ذلك يعني انتهاكا صارخا لأخلاقيات الاحتشام والعفة وتهديد أثنوي سافر للحيز الذكوري □ المعني بدراسة الأخلاق والقيم وتحديدها بمحددات □ موهلة في الوفاق والهيبة الفحولية التي ستشعر بإهانة □ كبيرة وانتفاص في صميم الوجود.

المنظومة الرمزية كلها معددة وعرضة للانهايار □ الكامل ذلك لأن الجسد الأثنوي ملغم بمفاته التي □ مع شأنها اختطاف النجومية وسحب الأتباء والتناولة، فالمرأة □ هي أكبر منافس للسلطة الروحية والأخلاقية، كما قال □ أحد الآبقية الذي تجمعي وإياه وكذلك المرأة صفة □ الانتماء للظل، المرأة كائن لا أخلاقي إنها □ الطبيعة ذاتها يستمرسل صديقي- ما إن تداهم هيكلا حتى يعتز لتتحول □ كل القيم والمعايير والطقوس نحو وجهة جمالية كانت □ ذات

يوم هي التي تدبر عرشه المعنى.

لكّك ستطعه دون شك في هذا التصور الجنساني الذي لا يخلو من الدلالة التشبيئية فالدراسات الجندرية الحديثة ترفض الفوارق الجنسانية الجوهرية، فما هو جنساني هو في أكثره ثقافي متنسب، والأدوار الجنسية التي يقوم بها كل من المرأة والرجل ما هي إلا تواضع أو لعبة يتقده أدوارها الجميع، يقول تيودور روزاك: يلعب هو دور الذكر وتلعب هي دور الأنثى وهو يلعب دور الأذكر لأنها تلعب دور الأنثى وهي تلعب دور الأنثى لأنه يلعب دور الذكر، وهو يقوم بدور ذلك النوع من الرجل الذي تعتقد هي أن نوع المرأة الذي تقوم بلعب دوره لا بد أن تعجب به، وهي تقوم بدور ذلك النوع من المرأة الذي يعتقد هو أن الرجل الذي يلعب دوره لا بد أن يرغب فيه، ولو لم يكن يلعب دور الذكر لكان على الأرجح أشد منها أنوثة، اللهم إلا في الحالات التي تكون فيها مسرفة في لعبة الأنوثة، ولو لم تكن تلعب دور الأنثى لكانت على الأرجح أشد منه ذكورة إلا في الحالات التي يكون فيها مسرفا في لعبة الذكورة، وهكذا يزداد لعبه شدة ويزداد لعبها نعومة..."

ولكن مع ذلك فإن الجسد الأنثوي في المنظور الديني السائد هو موضوع ايروتيكي غني سيميائيا، فإذا كان الجسد البشري بشكل عام ليس مجرد جسد بالمعنى الفسيولوجي المحض بقدر ما هو جسد ممأسس خاضع لاشتراطات الثقافة والسلطة الرمزية فإن الجسد الأنثوي يتميز بشكل خاص بتحوله إلى دلالة رمزية ونفسية واجتماعية. إن الأنثى يا صديقي ليست سوى "جسد مؤسس" يجعل من المرأة كائنا شجيا بقدر ما هو كائن ايروتيكي.

هذه الرسالة البيداغوجية والقيمية ستصل إلى المرأة، لكنها ستصل مشفرة، وما عليها إلا أن تفلحها، وبالتالي فهي إما أن تكون متوافقة مع أجندة الخطاب أو تناقضها ولكنها مع ذلك ستحمل دلالة الرفض في كلتا الحالتين، لأن الخضوع الكامل هو في جوهره رفض وتمرد، لك التمرد بشكله الايجابي والواضح هو الذي يهمنا هنا، فما حدث في المارثون مع تعذك بالحرمان يأتي تحديدا في هذا السياق، إن ما حدث وفقا للمنظور الديني أشبه بعرض أزياء واستعراض صفاته وتبرج بأحمر الشفاه وجينز واختلاط منمه قائمة لا تنتهي من المحظورات التي توظف مارد الجسد وشهوة الحواس، فالمرأة تلجأ إلى التمرد على تشبيحها بسلاح من ذات السخية هو سلاح الجسد، إنها تلع الحرب بجسدها الملغم ضد التشبيء والعيمنة الذكورية والخطاب الديني السائد الذي يدع هذه العيمنة ويوفر لها الشرعية والتبرير.

إننا أمام خطاب غني بعناصر احتكار الهوية وتملكها □ سعياً نحو السلطة والسيطرة الكاملة على الحيز العام □ وهو بوصفه خطاباً تجيشياً ورمزياً يستعير من القاموس □ الديني ما يعزز رأسماله الرمزي: الطهر، العرض، النجف الصغرى، التشيع، الحجاب، التأسى بالستر والعفاف □ الفاطمي وغيرها من مفردات قادرة على ملأ الفراغ في الذاكرة والمخيل والهوية الاجتماعية، إنها □ المفردات نفسها التي تشكل في آه معاً خطاباً □ اسلامياً محافظاً وذكوريا يخشى الأنوثة ويؤدلج الجسد ويتخفى خلف □ الهوية المعقدة والفضيلة المنجرحه.

لا تحول هذه القراءة رغم تشاؤمها دون الاستشراق □ الذي يتصف بقدر من التفاؤل، فهذا المارثون سيتحول □ إلى حدث حالق في الذاكرة، سيكون محلاً للتبجيل أو □ للتبخيس، وجه حضاري وبادرة جريئة عند البعض وشجاعة □ أو انتكاس وفساد وفسوق عند آخرين، كما أنه سيكون □ موضوعاً للتحليل السيسولوجي والثقافي الذي من شأنه □ أن يفسر التمايز الذي يفصل بينه انتهاك وآخر، فمارثون □ القطيف الذي حدث في وسط محافظ ومحتبس سياسياً □ واجتماعياً وفكرياً يحتم على الذاكرة أن تستعيد من الارشيف □ انتهاكاً مماثلاً حدث بداية التسعينات في المجتمع □ البحريني وهو الحدث الذي أنتج صداماً حاداً مع السلطة □ السياسية التي تمثل دور الآخر.

الخطاب نفسه أنتج قراءته متغايرته، فبينه □ الحادثته أوجه شبه عديدة في السياق الاجتماعي □ والدلالة الثقافية ولكنه التاريخ وحده الكفيل بإجلاء العوامل □ الذاتية الفاصلة بين مارثون البحريه بوصفه شرارة انتفاضة ضد الانتهاك السياسي ومارثون القطيف بوصفه □ انتهاكاً مماثلاً ولكنه للأخلاق والقيم.

□-----
وصلتنا المقالة من الكاتب الكريم بالإيميل